قطع الحكم عليه بشيء من ذلك اذ ما لدليل المحتمل لا يثبت نفي المذهب كما هو قاعدة الاصول
وسيجيء تفصيله فعلى هذا ليت شعري ما وجه تخصيص العلامة الزمخشري رحمه الله
بالذكر في الطعن والتشنيع عليه وعلى من تبعه وعلومه ملأت الآفاق شرقا
وغربا ما وضع الواضعون مثل تفسيره وساير كتبه ومصنفاته في العلوم المتداولة
وما بلغ الطاعنون عشر ما رزقهما الله تعالى من العلوم والفضايل التي احتوت
عليها مصنفاته التي هي كالبحار الزواخر مملوءة بالجواهر لكثرتها لا يعرف لها اول
من آخر وعلى انه يمكن ان يوجه كلامه ويحمل على محمل خال عن غرض الطاعن بان يقال معنى
قوله وهو لم يكن يتعبد الله في ذلك الوقت لم يكن مشتهرا بينهم بعبادة الله يدل عليه
تعبير القاضي البيضاوي في تفسيره الذي هو كالشرح للكشاف حيث قال وهو لم يكن رحمه الله
موسوما بعبادة الله تعالى وهذا التعبير من القاضي في غاية الحسن لشموله كلا المذهبين
المانع والمجوز مع رعاية الادب كما لا يخفى فليتأمل وذكر القاضي عياض في شفائه وذهب
بعضهم الى التوقف في امره صلى الله عليه وسلم وترك قطع الحكم عليه بشيء من ذلك وهو
مذهب امام الحرمين ابي المعالي وقال العلامة ابن جري باشا وقيل بالوقوف في هذه
المسئلة بعد تسليم الجواز واختاره حجة الاسلام ابو حامد الغزالي وعبد الجبار وصاحب
الاحكام انتهى كلامه وذهب بعض العلما الى انه صلى الله عليه وسلم كان متعبدا بشرع ثم
اختلف ذلك البعض هل يتعين ذلك الشرع ام لا فتوقف بعضهم في التعيين واجم وعين
بعضهم وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فقيل كان متعبدا بشرع آدم عليه السلام ولم ار لهذا
القول متمسكا يتمسك به قايله وقيل كان متعبدا بشرع نوح عليه السلام بدليل قوله
تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا يعني انه اول الانبياء من اصحاب الشرايع العظيمة
واولي العزم وبعث بعموم شرعه والمعنى قد وصيناه واياك يا محمد دينا واحدا ذكره
ابن الخازن في تفسيره او بدلالة عموم شرعه ذكره ابن جري باشا في شرح المنار ورد عليه
ان آدم عليه السلام بعث بعموم شرعه ايضا لقوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا يعني اصطفى
دينهما وهو دين الاسلام كذا في شرح الشيخ ابي الليث السمرقندي فلا يتم الاستدلال به

بالخصوص

بالخصوص ويمكن الايراد عليه بطريق آخر بان يقال لا نسلم عموم شرعه بل الصحيح انه لم يكن
لنبي من الانبيا دعوة عامة الا لنبينا صلى الله عليه وسلم ذكره القاضي عياض في شفائه
فلا يتم له الاستدلال ايضا وقيل كان متعبدا بشرع موسى عليه السلام ولم ار لهذا القول
ايضا متمسكا يتمسك به قايله ودليلا يستدل به عليه وقيل كان متعبدا بشرع عيسى
عليه السلام بدليل ان النبي صلى الله عليه وسلم اباح لامته شرب الخمر في بدء الاسلام
ثم نزل عليه آية التحريم بعد الهجرة ذكره ابن الصلاح في الاجوبة وقيل كان متعبدا بشرع
ابراهيم الخليل صلوات الله على نبينا وعليه وعلى ساير الانبيا والمرسلين بدلالة قوله
تعالى ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وبدلالة قوله تعالى اني جاعلك للناس اماما والامام
اسم من يؤتم به وامامته عليه السلام عامة مؤبدة اذ لم يبعث بعده نبي الا وكان
من ذريته مامورا باتباعه كذا في تفسير البيضاوي وبدلالة قوله تعالى وما كان من
المشركين قال البيضاوي وفيه اشارة الى ان اتباعه عليه الصلاة والسلام واجب في
التوحيد الصرف والاستقامة في الدين والتحفظ عن الافراط والتفريط وبدلالة
قوله تعالى قولوا آمنا بالله وما انزل الينا يعني القرآن وما انزل الى ابراهيم وهو عشر
صحف ذكره البغوي في معالم التنزيل وبدلالة قوله تعالى ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من
سفه نفسه قال البيضاوي فيه استبعاد وانكار لان يكون احد يرغب عن ملته
الواضحة الغراء اي لا يرغب عن ملته احد الا من استمهنها واستذلها واستخف بها وقال
البغوي اي ومن يترك دينه وشريعته عليه السلام الا من جهل نفسه وبدلالة ما روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم بعثت على الملة الحنيفية السهلة السمحة وهي دين الاسلام
شريعة سيدنا الخليل عليه السلام وبدلالة ما روي في صحيح البخاري وكان يخلو بغار حرا
فيتحنث فيه وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل ان ينزع الى اهله وبدلالة ما روي
ايضا عن النبي صلى الله عليه وسلم على ما نقله شيخ الاسلام ابو شامة في كتاب نور المسرى
من سيرة ابن اسحاق من حديث عبيد بن عمير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في
حرا كل سنة شهرا ويتحنف بالفاء من الحنيفية قاله ابو عمرو الشيباني فمعناه يتعبد على

Copyright © King Saud University